

يؤدي الخطاب التربوي دوراً مهماً في تفعيل المنظومة التربوية حسب نوع الخطاب فهناك الخطاب المجدد و الخطاب الرسمي و الخطاب الإنساني و غيرها من الأنواع التي تعمل على زيادة الاهتمام بالتربية أو العكس ، كما للمصدر الناتج عن الخطاب التربوي و قوة التأثير التي يبديها ، خاصة مع تزايد التحديات التي تواجه المنظومة التربوية فكل عامل من هذه العوامل الدور في تطور المنظومة التربوية و تغييرها .

أولاً الخطاب التربوي :

1 / 1 الخطاب :

الخطاب لغة :

يعرفه ابن منظور¹ الخطاب والمخاطبة بمراجعة الكلام ، قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وهما يتخاطبان .

وتعتبر الخطبة اسم الكلام الذي يتكلم به الخطيب ، والخطبة عند العرب هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه مثل الرسالة ، ويعني الحكمة والبينة واليمين في قوله Y (وفصل الخطاب) ، أما في الفقه فهو الفصل بين الحق والباطل ، وتمييز بين الحكم وضده . وفي اللغة الفرنسية² كلمة " Discours " تأخذ عدة معاني :

- ❖ اتصال لفظي ، كلام ، محادثة .
- ❖ معالجة شكلية لموضوع ما شفويّاً أو كتابياً .
- ❖ وحدة نصية يستخدمها المختصون في مجال الألسنية للتحليل .
- وأصل كلمة " Discours " هو اللاتينية المستعملة في القرون الوسطى ومعناها الحجج وفي اللغة الإنجليزية " To Discours " وتعني :

❖ القدرة على التفكير .

❖ المشاركة في المناقشة .

الخطاب اصطلاحاً :

❖ يعرفه عبد الواسع الحميري بأنه إستراتيجية التلطف أو نظاماً مركباً من عدد من الأنظمة التوجيهية والتركيبية والدلالية والوظيفية ، التي تتوازي وتتقاطع جزئياً أو كلياً في ما بينها³ .

❖ يعرفه " جافري ليتش " " Geoffrey Leech " بأنه اتصال لغوي يعتبر صفق بين المتكلم والمستمع وتتوقف صيغته على غرض اجتماعي¹ .

¹ ابن منظور،لسان العرب،دار صادر ،لبنان ،المجلد الثاني،1997،ص،275،ص،276.

² سارة ميلز ،الخطاب ،ترجمة :يوسف بغول ،منشورات جامعة منتوري قسنطينة ،الجزائر ،2004،ص،1.

³ عبد الواسع الحميري ،ما الخطاب وكيف نحله ،المؤسسة الجامعية للنشر ،لبنان ،2009،ص،11.

❖ يعرف " فيركلاو " " Firclaough " الخطاب بأنه يستخدم اللغة والكتابة وهو أحد أشكال الممارسة الاجتماعية من وجهة نظر معينة².

كما يعد الخطاب بأنه يعبر عن الواقع الاجتماعي ، وبدون خطاب لا وجود لواقع اجتماعي ، وبدون فهم الخطاب لا يمكن للفرد أن يفهم واقعه ومختلف التجارب .

كما تساعد عملية تحليل الخطاب على فهم الواقع الاجتماعي³ ، حيث من خلال تحليل الخطاب (الموضوع المراد دراسته يعطي بعداً أوسع عن فهم الموضوع إلا أن الملاحظ اليوم يجد أن الخطاب اليوم تحول إلى سلطة ، ولو بالتحالف مع السلطة السياسية والتي تتميز بطابعها التسلطي ، إذ نجد أن الخطاب كلما ما اتجه من سدة السلطة السياسية ازدادت شهية القمع والتسلط وهذا خاصة في المجتمعات ذات السلطة الديكتاتورية ، والفارق بين خطاب وآخر يكمن من حيث نوعية الخطاب والجهة التي تصدر الخطاب وكذا الموضوع وطبيعة قناة الاتصال⁴.

يستعمل الأدباء كثيراً دراسة الخطاب وخاصة ما هو نص ، والذين يرونه بأنه نظام السلوك الاجتماعي والتواصلية ويصفونه بأنه :

نظاماً للتفاعل والجدل بين أطراف العملية التواصلية أي بين المتلفظ وملفوظة من جهة وبين المتلفظ وملفوظة من جهة ثانية ، ويوصفه كذلك بأنه نظاماً للتبعية والخضوع أو للتبعية والاستماع وتعين ثلاث أنماط رئيسية للخطاب هي :

- ❖ **نظام التعالي :** وفيها يتعالى المتلفظ على عالم التلفظ .
- ❖ **نظام التفاعل والجدل :** وفيه تواصل بين المتلفظ والملفوظ .
- ❖ **نظام التبعية والسقوط :** سقوط الكينونة المتلفظة في عالم التلفظ وتبعيتها له⁵ .

1 / 2 الخطاب التربوي :

تعريف الخطاب التربوي :

يعرّف بأنه : اللغة المعربة عن جملة التصورات والمفاهيم والاقتراحات حول الواقع التربوي ، وصفاً وتحليلاً ونقداً واستشرافاً لمستقبل أو حول علاقة الوجود بين التربية ومجتمعها وهو يعبر عن إيديولوجية صاحب الخطاب في وقت معين⁶ .

¹ سارة ميلز ، مرجع سابق،ص3.

² محمد شومان ،تحليل الخطاب الإعلامي ،الدار المصرية اللبنانية،مصر،2007،ص،25.

³ المرجع نفسه،ص،26.

⁴ ناصر حامد أبو زيد ، الخطاب والتأويل ، ط3 ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، د س ، ص ، ص ،5،6.

⁵ عبد الواسع الحميري ،مرجع سابق ، ص ، ص ،12،13.

⁶ الخطاب التربوي الإسلامي ، نفلأ عن: <http://www.islam web.net/new liber/index.php.04/2008>.

ويُعرف الخطاب التربوي : بأنه يعبر عن من ينتجه حيث قد يعبر عن الرؤية الرسمية الحاكمة في المجتمع حيال تخطيط وتشريع النظام التعليمي الذي يضمن الإبقاء والمحافظة على النظام الاجتماعي القائم ، وقد يأتي كذلك معبراً عن التصورات الفكرية المتحررة عن قيود المؤسسة من قبل مفكرين وعلماء وجمعيات ومؤتمرات علمية¹ .

ويرى "روبول" بأن الإيديولوجية هي المكان المفضل للغة والخطاب يعدّ أنسب الأوضاع لممارسة الإيديولوجية وظيفتها الخاصة والتي هي منطلقة من السلطة ، ويوضح "روبول" بأن الخطاب التربوي يختلف حسب من يصدر الخطاب والجهة المسؤولة عنه إذ تعطي كل جهة المشروعية للخطاب الصادر عنها ، فيوضح بأن خطاب الأب التربوي يختلف عن خطاب المعلم، والذي هو بدوره يختلف كذلك عن الخطاب السياسي باعتبار أنه مربي² .

مسلمات الخطاب التربوي :

يقدم "روبول" ثلاث مسلمات تتعلق بالخطاب التربوي يحددها في النقاط التالية :

1. الخطاب التربوي يعدّ بأنه خطاب بيداغوجي والذي يظهر من خلال الأفكار التي يصدرها المربي ، سواء كانت في الكيفية التي يقدم بها الخطاب أو عن التبريرات التي يستخدمها .

2. عدم وجود نمط واحد أو موحد للخطاب .

3. انتماء الخطابات التربوية في فترة محددة إلى صراع مشترك رغم تنوعها وتعارضها في بعض الأحيان³ .

2/ أنواع الخطاب التربوي⁴ :

حدد روبول خمسة أنواع من الخطابات التربوية وذلك على الأسس التالية :

❖ تمييزها حقيقة .

❖ مطابقة كل منها بالفصل لمتن يمكن سماعه أو قراءته خلال الحياة .

❖ هيمنتها اليوم .

إذ يوضح "روبول" أن الخطابات التربوية تعبر عن الإيديولوجية الني تعبر عن السلطة الحاكمة .

تتلخص أنماط الخطاب في :

¹ المرجع السابق .

² أوليفي روبول ، لغة التربية تحليل الخطاب البيداغوجي ، ترجمة : عمر أو كان ، إفريقيا للشرق ، المغرب ، 2002 ، ص ، ص ، 13، 17.

³ المرجع نفسه ، ص ، ص ، 17، 18.

⁴ المرجع نفسه ، ص ، ص ، 52، 80.

1/ الخطاب الرفض :

وقد ظهر هذا النوع في أواخر الستينات وبداية السبعينات ، إذ يتميز هذا النوع برفضه الشامل للمؤسسات التربوية ، وذلك بسبب تمثيل المؤسسة للإيديولوجيا التي تتبناها الدولة ، وباعتقاد منهم أن الدولة تعمل على ترسيخ إيديولوجيتها ، ولا تترك الحرية للفرد ، وبالمقابل تعمل المؤسسات التربوية على تجريد الأفراد من معرفتهم وتسلبهم بذلك تجاربهم ، كما يدعو هذا النمط إلى إلغاء المدارس وذلك باعتبار أنها من المؤسسات التربوية الإجبارية من طرف الدولة ، وحتى الأسرة كذلك نجد أنها لم تسلم من هذه النظرة التشاؤمية باعتبار أنها المدرسة الأولى والأكثر خداعاً للخضوع كما يرى بأن كل إصلاح تربوي يكون من طرف الدولة يعد بأنه عبارة عن أوهام ويرون في نظام الدولة بأنه قمعي ومستبد بالجواهر .

إذ يرى هذا النوع بأن كل عمل يقوم به النظام يعدّ هيمنة وإخضاع ، لكن الملاحظ يجد أن أصحاب هذا النوع بالرغم من الانتقادات التي وجهت للنظام إلا أنها لم يأتي بأي جديد يذكر سوى النقد وعدم الرغبة في النظام التربوي الذي يصدر من طرف الدولة .

2/ الخطاب المجدد :

يرفض أصحاب هذا النوع الطريقة التربوية التي يتم بها التعلم ويسعون إلى التجديد، ويوضحون بأن التعلم يصاحبه الفعل ويقدمون مثلاً عن ذلك بأن من يريد تعلم الكتابة ، فهو يتعلم عندما يقدم على تطبيق الفعل والمتمثل في الكتابة ، كما يعيرون على المقررات والبرامج ، وذلك لأنها حسب رأيهم لا تترك أي فرصة للطفل كي يتعلم ويبدع وأن تتيح له الفرصة بإظهار شخصيته عن طريق التعبير التلقائي .

إذ يدعوا أصحاب الاتجاه إلى التغيير وذلك انطلاقاً من استخدام الطرائق على حساب المحتوى ، ويرون بأن يكون تمحور التربية حول الطفل المتعلم لا حول البرامج التربوية.

3/ الخطاب الوظيفي :

يقدم هذا الاتجاه وصفاً سلوكياً " لتعليم " و " التعلم " من جلال تقديم تعاريف محددة من هذين المصطلحين ، حيث يقوم هذا الاتجاه بإعطاء التعاريف يقومون بتقديمها طابع غائي تربوي ، إذ يرون بأن المرابي يقوم بالتربية لرغبة معينة ، وهنا لا تشترط النتيجة التي يصل إليها وإنما يؤكدون على الغاية والهدف الذي يسعون من أجله كما يؤكد هذا الاتجاه على أن العلوم والتقنيات كفيلا بمعالجة مختلف المشكلات التربوية ، وأن التقدم التربوي الحقيقي هو العملية ، وأن التربية قادرة على فعل أي شيء .

4/ الخطاب الإنساني :

يميز أصحاب هذا النمط من الخطاب بين " البحث " و " التعليم " ، ويرون بأن وظيفة الباحث تتمثل في البحث العلمي ، أما وظيفة المعلم فتتمثل في التعليم فقط ، فعلى كل فرد أن يتركز حسب الوظيفة المناط بها .

فالخطاب الإنساني هو خطاب للتمييز ولا يحبذ الغموض ، كما يدعوا أصحاب هذا النمط إلى احترام ثقافة المجتمع ، واحترام الطفل ، فهم يرون بأن أطفال الطبقات المحرومة ليسوا في محلهم في التعليم .

15/ الخطاب الرسمي :

يقوم بإنتاج هذا الخطاب الأفراد الذين يملكون السلطة التربوية من وزراء، ومنظمات دولية ، وجمعيات ويسعى أصحاب هذا النوع إلى التجديد وتأكيد دور السلطة من جلال الإصلاحات التربوية .

يتناول الخطاب الرسمي ثلاث عوامل تتمثل في النصوص والعرف والإيديولوجيا والتي يكون لها تأثير على السلطة ، وأن مؤلف الخطاب الرسمي هو متحدث باللسان فقط .
ويتميز هذا النوع بأنه خطاب للتهذيب والتلطيف ، وأن الشيء الذي يؤسسه هو التركيب ، وأن معاني الخطابات الرسمية تكمن وراء السطور لا في الكتابة أو الكلام العلني ، حيث يستمد هذا النوع من الخطاب قوته من خلال التعددية الحزبية التي تعطي دفعاً للديمقراطية عكس النظام المسيطر .

وعليه نلاحظ بأن " رويول " قد حدد خمسة أنماط للخطاب التربوي لكل خطاب مميزاته والأهداف التي تميزه عن غيره من الخطابات ، والتي نلخصها في الجدول التالي :

| أنماط الخطاب | الرافض | المجدد | الوظيفي | الإنساني | الرسمي |
|----------------|--|---|---|--|--------------------------------------|
| سمات أساسية | * رفض كلي للمؤسسة * ضد بيداغوجي | * الانطلاق من الطفل * فتح المدرسة على الحياة * استمرارية * بيداغوجية إجمالية | * دقة * بيداغوجية القطيعة * فعالية | * ثقافية * أولية المحتويات | * تفاؤلية * إصلاحية * تفيقية |
| غايات التربية | مجتمع بدون طبقة | * تفتح فردي * تعاون * ديمقراطية | * سلطة الإنسان على الطبيعة * اندماج طبيعي | * استقلال الحكم , * التمسك بالتراث الثقافي | * إجماع وطني * تكوين مهني أفضل |
| اصطلاحات مميزة | قمع , تلاعب | حياة تغير , إبداعية, تلقائية , تفتح | هدف , سلوك , إجرائي,مقاس | تميز,نوعية, جهد, نموذج , وضوح | خصوصا أن , غير أن , |
| متنوعات | * متمركز * تحرري * نفس تحليلي | * لا توجيهي * نفس تحليلي | * نفس تحليلي * اقتصادي | * من اليمين * من اليسار * مسيحي * ملحد | * حكومة * تنظيم دولي * قاموس |
| انحدار | العدمية و المحافظة عن طريق الانهزامية | الغموض الفكري و المقنعة | العلمية و التقنوقراطية | النخبوية و المحافظة على البيداغوجية | اللفظية و الإردوية |

ثانيا: الخطاب التربوي والسلطة

تؤدي التربية دورا هاما رئيسياً في حياة المجتمعات إذ أنها تمثل إستراتيجية قومية كبرى لكل المجتمعات ، وهي من حيث الأولوية لاتقل عن أولويات الدفاع والأمن القومي ، فالتربية تحتل اهتماما قومياً لكل الحكومات و المنظمات بحيث لايمكن لأي حكومة أو أي نظام سياسي أن يترك الحبل على الغارب في ميدان التربية وخاصة المنظومة التربوية¹.

1/ السياسيين المنظرين للتربية :

المنظومة التربوية اليوم تحتاج إلى المنظرين الاجتماعيين الذين يعبرون عن واقع المجتمع من السياسيين الذين بإمكانهم التنظير في التربية إلى جانب التنظير في السياسة ، مثل ما فعل القدامى أمثال ، " إميل دور كايم " و " جون ديوي " ومن قبلهم " ابن خلدون " و " أرسطو " وغيرهم من الكثيرين الذين كانوا يعدون من بين السياسيين ، إلا انه كان لهم تنظير في التربية ، حيث تثبت إسهاماتهم في علم

¹ محمد منسي ، أصول التربية ، عالم الكتب للنشر، مصر ، 2001 ، ص،22.

الاجتماع التربوية ذلك ، إلا أن الملاحظ اليوم في المجتمع العربي أو العالم الثالث يجد أن الذي ينظر للمنظومة التربوية هم المنظمات العالمية وخاصة " اليونيسكو " والتي تقدم مختلف التوجيهات للمنظومات التربوية ، مثلاً ما قدمه ديلور " D. jacquet " في تقاريره ، وجومتين " joumtien " ¹ ، ولا تجد خطاباً من الساسة بخصوص المواضيع التربوية أو يعبر عن الواقع التربوي في المجتمع ، ويعود ذلك لعدم إعطاء السياسيين الأهمية للخطاب التربوي ، فالسياسي اليوم لا تفهم الرسالة التي يريد إيصالها من خطابه ² التربوي إذ أن خطابه عن التربية يكون في فترة الحملات الانتخابية أو عند حدوث أزمة للمنظومة التربوية ، وفي واقعنا كذلك لا تجد لغة التواصل مثلما يقول " بيريورديو " أن الخطاب السلطوي في بعض الأحيان غير مفهوم ولا مستوعبا ، حيث أن الخطاب ينبغي أن يصدر عن صاحبه ³ ، حيث تجد أن من يقوم بوضع البرامج والمقررات أفراد ، ومن يقوم بإلقاء الخطب أفراد آخرين ، وهذا وضع متعارف عند الكل من أفراد المجتمع ، إلا أن المشكل الحقيقي هو أن اليوم من هو السياسي ، وما هي اللغة التي يتخاطب بها ، والموقف الذي يلقي فيه الخطاب ، فلقد كان في الماضي مثل ما قال : "ابن باديس" بأن السياسي وهو من تكون له القدرة على المخاطبة والتفكير ، وأن يكون ذا شخصية قوية وعقيدة ، وأن يكون ذا علم . حيث وضح ضرورة ارتباط العلم بالسياسة ، في قوله (... وكلامنا اليوم عن العلم و السياسة معاً وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول - لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصاد على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة - مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة و العلم - ولا ينهض العلم - والدين - كل النهوض - إلا إذا نهضت السياسة بجد ⁴) . فابن باديس يرى ضرورة الربط بين العلم (التربية) والسياسة وذلك لمكانتهما في المجتمع ، فلا يعتبر وجود تربية بدون سياسة ، وعلى السياسي أن يكون مريباً أولاً و حكيماً يتميز بقدرة عالية من الوعي ولغة التخاطب ، حيث يخاطب حسب الموضوع مثلما يقول المثل "لكل مقام مقال " ، وأن يكون خطابه خطاباً مؤثراً ونافعاً وأن لا يتكلف في كلامه ، حيث يرى ابن خلدون أن خطاب السلطة ينبغي أن يكون ذا طلاقة في الكلام ، أي الترسل بما يناسب جمهور المستمعين ⁵ ، فإذا كان السياسي في خطابه يتكلم عن المنظومة التربوية - فلا يبتعد بمواضيع أخرى غير التربية في خطابه كالاقتصاد مثلاً- فيقدم لها كل الاهتمام لأن التربية يحدث التطور و التغيير .

2/ نماذج من السياسيين المهتمين بالمنظومة التربوية :

¹ صلاح الدين المبتولي ، جهود اليونيسكو في تطوير التعليم الأساسي دار الوفاء للنشر ، مصر ، 2002 ، ص ، ص ، 71، 77.

² أمين الزاوي ، الطبقة السياسية في الجزائر : أعطاب لغة الخطاب ، جريدة الشروق اليومي العدد 2871 ، 2010/3/11 ، الجزائر ، ص، 16.

³ بيير بورديو ، الرمز والسلطة ، ترجمة : عبد السلام بن عبد العالي ، دار توفيق للنشر ، المغرب ، 1990، ص ، 66.

⁴ تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ، ط5، الجزائر ، 2001، ص، 322.

⁵ عبد الرحمان بن خلدون ، مقدمة ، دار الفكر، طبعة مزيده ومنقحة، لبنان ، 2007، ص، 620.

اهتم الكثير من القادة السياسيين بالمنظومة التربوية خاصة في الدول المتطورة ، والملاحظ عبر التطور التاريخي يجد أن كل المجتمعات التي تعد اليوم أكبر المجتمعات تطوراً وتقدماً ، يعود ذلك للاهتمام قادتها السياسيين بمنظوماتهم التربوية وتخصيص الاهتمام الأول لها .

فالولايات المتحدة الأمريكية تدق ناقوس الخطر ، الذي قدمه الرئيس الأسبق " جورج بوش " في السبعينات بعنوان " أمريكا 2000 إستراتيجية للتعليم " ، فهي ترى بأن المنظومة التربوية هي الوتر الحساس الذي يتأثر معه جميع أفراد الأمة من طبقة سياسية ونخبة فكرية وقاعدة شعبية¹ . وقد صرح قبل ذل الرئيس " جونسون " في الستينيات >> أن الحل لكل مشكلاتنا القومية يتلخص في كلمة واحدة هي التربية >>² . فأمرىكا باعتبارها دولة عظمى أعطى قادتها السياسيين الاهتمام الأول لمنظومتهم التربوية باعتبارها الأساس الذي يكون عليه البناء ، ومن الدول الأخرى التي قدمت سياسة تربوية بإستراتيجيات واضحة وطبققتها ووجدت فيها الحل . وألمانيا عندما أراد " بسمارك " توحيد ألمانيا وتحريها من النفوذ الأجنبي ، جعل من المنظومة التربوية قوة تحقيق لذلك ، و بالفعل تمكنت ألمانيا من هزيمة فرنسا وامتلاك القوة³ .

وكذلك " بتلر " رئيس المصلحة القومية ببريطانيا لم طرح مشكلة التربية أثناء الحرب العالمية الثانية عندما تفاجئه حكومة تشرشل بضعف الجنود وضعف العتاد العسكري أمام تفوق الألمان ، فالملاحظ يرى بأن سر النهضة يكون بالاهتمام بالمجال التربوي الذي به يستطيع المجتمع من الوقوف كقوة علمية وتكنولوجية أمام كل التحديات .

وليس ببعيد ذلك عن سر معجزة اليابان ، التي حولت من بلد إقطاعي متخلف إلى مجتمع متطور له إرادة لا تكل ، وقد أدهشت اليابان الدول المتقدمة عندما كثفت من الدراسات على المنظومة التربوية أين أنتجت عبقرية غطت على جميع العبقريات في العالم بابتكاراتها المتنوعة في المجالات التقنية ، الصناعات الدقيقة ذات المواصفات العلمية والعالمية التي أكسبتها قوة تنافسية للولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا⁴ .

هذه الدول عرفت قادتها الذين يتميزون بتنظيم سياسي أن التربية هي باب ومفتاح التطور ، وأن كل تغيير وإصلاح وضع في المنظومة التربوية كان بإستراتيجية ودراسة تعبر حقيقةً عن ماذا يريد المجتمع فعلاً ، وهذا ما يؤكد فعلاً مقولة :الفيلسوف الصيني "كيواو"سو" في ق(3) قم>>إذا وضعت مشاريع سنوية فازرعوا القمح ، وإذا كانت مشاريعكم لعقد من الزمان فاغرسوا الأشجار ، أما إذا كانت مشاريعكم للحياة بكاملها فما عليكم إلا أن تتقفوا وتعلموا وتنشؤوا الإنسان >>⁵ . فهذه حقيقة لا بديل عنها فالمجتمعات

¹ لخضر لكحل ، مرجع سابق ، ص، ص ، 173،174.

² محمد منسي ، مرجع سابق، نفس الصفحة .

³ محمد الصالح جدي ، مرجع سابق ،ص،10.

⁴ نفس المرجع ، ص،11.

⁵ صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دار العلوم للنشر، الجزائر ، 2004،ص،163.

المتطورة عالجت مشاكلها من واقعها الاجتماعي ، ووضعوا سياسة تعبر عن مجتمعاتهم وذلك على عكس ما يكون في المجتمع الثالث الذي يسرّع معظم قاداته إلى استيراد التربية من دول أجنبية وكأنها سلعة مثل مختلف السلع .

يستعرض في ذلك عبد القادر يوسف في مقال بعنوان «أزمة التربية في الوطن العربي» >> بأن المنظومة التربوية في العالم العربي لا ترتبط بواقعها الحضاري والثقافي ، وحاجاتها الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية ، ويمكن للملاحظ دون عناء أن يلاحظ ما نتج عن الواقع السياسي الجزائري منذ 1988 ، وما طرأ على المنظومة التربوية في تحديد سياستها التربوية ، وما كان لصناع القرار في توجيه السلم التعليمي وفق ما يلي مصالحها ويحفظ امتيازاتها فهو يرى بأن القادة السياسيين منذ تلك الفترة لم يقدموا الاهتمام الواجب لتقديمه للمنظومة التربوية من أجل تحقيق الصالح العام ، فالمتبع لمعظم خطاباتهم يجدها تبحث عن السلطة والرئاسة أي الوصول إلى دفة الحكم¹ . ولم تقدم لها الميزانية الكافية ، فلقد بينت إحصائيات 2005 أن الجزائر قد خصصت 2 % لكل من وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي والتكوين المهني ، في حين أن ماليزيا على حسب ما أكده رئيس الوزراء السابق " محمد ما هاليتير " أن سر النهضة الشاملة والسريعة يعود لتخصيصهم 30 % من الدخل القومي الخام لقطاع التعليم سنوياً² . فأبي مجال للمقارنة بين النسبتين ؟

و يوضح سهيل زكار أستاذ التاريخ بجامعة دمشق في خطاب له عن حوار الحضارات سنة 2002 بدمشق أن تكون وزارات التربية و التعليم الوطني و التعليم العالي هما الوزارات السيادية و الأولى في حكومات العالم العربي ، و أن تحل من حيث الأهمية و السيادة و الإنفاق مكان وزارات الداخلية و الأمن و الدفاع ، و أن نعطي وزارة التربية و التعليم صفة الوزارة الأولى ، و أن يكون حقل التربية و التعليم الحقل الذي تتطلق منه الحضارة و المستقبل و أن تخصص له أكبر ميزانية مالية ، و بهذه الخطوة يرى انه يتحقق إصلاح المنظومات التربوية و تحقيق التطور في مختلف المجالات³ .

وهو الوضع الذي لا يمكن أن يكون في الدول العربية أو دول العالم الثالث التي تنفق الكثير على المعدات الحربية ، مقارنة بالإنفاق على المنظومة التربوية .

كما يؤكد محمد بابا عمي خطاب سهيل زكار في رسالة بعث بها إلى وزير التربية الوطنية ، و التي يوضح فيها ، إن كل تجارب الجزائر تهدف إلى تطوير منظومتها التربوية و هو يرى بأنه مبدأ أساسي لا يمكن الخروج عنه ، و يعرض بعد ذلك التجارب التي قام بها في مخبره ، و التي تم النزول بها إلى الميدان بغرض الاستفادة منها والتي يوضحها في النقاط التالية :

❖ الاعتماد على الإبداع كمنحى عام للمؤسسة .

¹ محمد الصالح جدي ،مرجع سابق ،ص،19.

² عيسى بن محمد بوراس ،مرجع سابق،ص،80.

³ المرجع نفسه ، ص ، 9 .

- ❖ توظيف منهج الشطار الصغار في تلقين العلوم .
- ❖ تدريس اللغات الأجنبية في الابتدائي .
- ❖ الإدارة بالمعلومات .
- ❖ اعتماد الإدارة المفتوحة.
- ❖ السعي لتطبيق مبادئ الجودة الشاملة .

مؤكد على أهمية الاهتمام بالمنظومة التربوية لأن بها يتحقق التعليم الذي يعد روح الأمة ، و بها يتحقق التطور و التنمية ، و بها يتعلم النشء الأخلاق و الآداب الحميدة و بها يتعلم المحافظة على البيئة ، و هي التي ترسخ له مبادئ الوحدة الوطنية و تماسك الوحدة الاجتماعية وهنا يجب أن توفر كل الظروف للنهوض بالمنظومة التربوية ، و كما تقول المقولة وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة¹ .

فالمنظومة التربوية اليوم هي بحاجة إلى من تكون لهم القدرة العالية والخبرة لوضع إستراتيجيه تربوية متكاملة تجمع بين التربية وأفراد المجتمع بما يحكم المجتمع من قيم وعادات وتقاليد أي ثقافة اجتماعية تعبر عن تكوين الشخصية الوطنية والاجتماعية ، وهنا يكون دور السياسي² ، وذلك بالتطبيق لا أن يكون بشكل خطب وبرامج توضع في الرفوف ، وتستخرج كلما استدعت الحاجة لذلك في كل مناسبة .

لقد طرح " ميشيل فوكو " نظرة متميزة للخطاب عندما ربطه بالسلطة وبين بأنه يمثل موضوع صراع من أجل الحصول على السلطة ، ففوكو يرى بأن الحقيقة من وراء الخطاب لا تبرز ولا تنتضح للوهلة الأولى بل تكمن وراء السطور وكل الخلفيات التي يحملها³ ، وعلى السياسي الذي يمثل السلطة أن يكون له خطاباً يخصصه للتربية ، وأن تكون المنظومة التربوية من ضمن الاهتمامات إن لم تكن من أولى الاهتمامات ، وذلك حتى تواكب التطور والتغيير و أن تواجه التحديات الراهنة وخاصة العولمة التي غزت كل المجالات الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية وأصبحت حقيقة واقعية ، وعلى السياسيين والمنظرين أن يأخذوا الايجابي منها ويعالجوا السلبي .

3/ الخطاب التربوي و الإيديولوجية :

كتب الكثير من الباحثين عن الارتباط بين الخطاب و الإيديولوجية و لكل باحث موقفه و رؤيته التي تميزه عن غيره من الباحثين و المنظرين ، حيث ترى سارة ميلز أن العديد من المنظرين و الناقدين يواجهون صعوبات نظرية في الاختيار بين الأعمال التي تدور حول مفهوم الإيديولوجية و بين التي تشير إلى مفهوم الخطاب ، و ترجع هذه الصعوبات إلى الاتجاه السياسي ، التي يرى فيها العديد من المنظرين أن تناولهم لمفاهيم الخطاب أريح لهم من استعمالهم لمصطلح إيديولوجيا ، و ترى أن لمفاهيم الإيديولوجيا دورا كبيرا في بلورة مفهوم الخطاب عند "فوكو" ، حيث كانت معظم أعماله عن الخطاب و

¹ عيسى بن محمد بوراس ' مرجع سابق ، ص ، ص ، ص ، 9 ، 10 ، 11 .

² فاضل بن حميدة الكزري، دور التربية في توحيد الأمة ، دار الهادي للنشر ، لبنان ، 2005، ص، ص ، 65، 66.

³ محمد ناصر ، مفهوم الخطب كوسيلة اتصالية ، نقلاً عن: <http://www.aklaan.net/aqlam/archice-a-php>

الايديولوجيا نقاشا و حوارا , حيث ترى بأنه يفضل استخدام مفهوم الخطاب , حيث يقول في ذلك " تبدو لي فكرة الايديولوجيا صعبة الاستعمال لثلاث أسباب هي :

- ❖ أنها أحببنا أم كرهنا فهي مضادة لشيء يشبه الحقيقة .
- ❖ أنها كما أعتقد تشير بالضرورة إلى شيء ما يشبه الذات الاجتماعية .
- ❖ أن الايديولوجيا تأتي في المقام الثاني بعد شيء ما يعمل كبنية تحتية أو كحتمية اقتصادية أو مادية تشكل عاملا من عوامل بلورتها .

و ل"فوكو" دور كبير في بلورة العديد من النظريات المختلفة التي صنفت عموما بنظرية الخطاب في بحثه عن الخطاب و السلطة¹ .

كما توضح " ريبول " بأن الخطاب الإيديولوجي هو الذي يوضع في خدمة سلطة ما و يمكن أن يكون أكثر موضوعية أو أقل عقلانية أو حتى علمية , فهي ترى بأنه إيديولوجي منذ اللحظة التي يكون فيها غرضه السري هو دائما إعطاء مشروعية لسلطة ما , حيث ترى بأن السلطة تختفي وراء الخطاب كما تؤكد بأنه ليس من المفاجئ أن تظهر التربية خطابات إيديولوجية , لأنها تعد رهان كبير للسلطة , و تبين ذلك بأن الخطاب التربوي في فرنسا للأحزاب السياسية , ليست جدا قاطعة و لا جدا مقطوعة فكل واحد منها تراه يمارس تقريبا الخطاب الرسمي وهو الذي يمثل خطاب السلطة² .

كما ترى أن أي حزب سياسي يستعمل في الخطاب التربوي ألفاظ تعبر عن إيديولوجيته , حيث أن كل حزب يحاول أن يفرض إيديولوجيته , خاصة مع تعدد الأحزاب في الدولة أين يصبح كل حزب يحاول فرض إيديولوجيته من خلال خطابه التربوي مثل استعماله عبارة "ديمقراطية التعليم " التي ترى بأن الأحزاب يستخدمونها في خطابهم التربوي بغرض التعبير عن إيديولوجيتهم لكسب التأييد , حيث ترى بأن الأحزاب السياسية تستخدم العبارات و الألفاظ التي يكون لها الوقع و التأثير على أفراد المجتمع , وتوضح في سياق حديثها عن العبارات و الألفاظ التربوية بأنها ليست خدمة للأحزاب السياسية و لا سلعة في محل تجاري³ .

سمات ألفاظ و عبارات الخطاب التربوي :

يستعمل كل حزب سياسي الألفاظ و العبارات التي تتناسب طبيعته الإيديولوجية , حيث ليس من الضروري أن تكون العبارات و الألفاظ المستعملة في الخطاب التربوي بالضرورة أن تكون دائما في صالح الحزب أو تكون كذبا أو صدقا , حيث تظهر حقيقة الخطاب في الخدمة و الحاجة التي يقدمها

¹ سارة ميلز , مرجع سابق , ص , 24 .

² أوليفي ريبول , مرجع سابق , ص , 81 .

³ المرجع نفسه , ص , ص , 117 , 118 , 119 .

للمجتمع مثل إصلاح المنظومة التربوية ، و تتحدد سمات الخطاب التربوي للأحزاب السياسية في النقاط التالية :

السمة الأولى : يحاول الحزب السياسي دائماً أن يقدم خطاباً على غير ما هو عليه حقيقة في الواقع حيث يقدم نفس العبارات التي تتداول في الخطاب التربوي على اعتبار أنها مبادئ و أدلة واقعية ، فكل حزب يسعى لتكيف الألفاظ حسب ما يناسب إيديولوجيته .

السمة الثانية : العبارات التربوية التي يستعملها الحزب تعد بأنها عبارات مستخدمة من قبل وهي مجهولة المصدر مثل عبارة " ديمقراطية التربية " التي يستعملها الكثير من الأحزاب السياسية في خطابهم التربوي .

السمة الثالثة : تعتبر الألفاظ و العبارات التي يستعملها الحزب بانها دائماً مغايرة ، فإذا كان الحزب يؤكد وضع ما فإن ذلك الأمر ناتج من خلال معارضة .

السمة الرابعة : إذا لم تكون الألفاظ التي يستعملها الحزب كذباً في مجملها فهي بالضرورة مختصرة سواء فيما يؤكد الحزب أو يصفه .

السمة الخامسة : تعد الألفاظ التي تستعملها الأحزاب بأنها مختصرة و ليست مطولة ، فكلما كانت الألفاظ التي يستعملها الحزب السياسي مؤثرة فهي بذلك تعطيه القدرة على الجذب و الإجماع¹ .

وبذلك حددت ربوب السمات الخمسة المنتشرة في عبارات و الألفاظ المتداولة في الخطاب التربوي .

ثالثاً : تحديات تواجه الخطاب التربوي

إن التربية اليوم ليست حكرًا علي المنظومة التربوية ، والتربية التي تتم في المنظومة التربوية تعد جزءاً من التربية الشمولية التي تبدأ بالأسرة وتستمر مع مختلف المؤسسات التربوية الأخرى التي تكسب الأفراد خبرات تتسم في استكمال بناء شخصياتهم وتطور مجتمعاتهم والتربية اليوم مطالبة بتحقيق الأهداف المخططة وحفظ الموروث الثقافي ، وتلبية الحاجات المتغيرة لأفراد المجتمع ، وكذا التغيرات التي تنتج عن التقدم العلمي والتكنولوجي ومواكبة التحديات الراهنة² ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان هناك تكامل بين المنظومة التربوية والواقع الاجتماعي ، وأن يكون صانعي القرار على وعي بحقيقة ما يواجهه المنظومة التربوية من تحديات ، وأن يكون خطابها وبرنامجهما يواكب هذه التحديات ومن منطلق الوضع الاجتماعي ، حيث الخطاب التربوي اليوم و بغض النظر عن مصدر من معلم أو مدير أو وزير أو سياسي أو مفكر ، فهو خطاب يعاني من عدة مشاكل مستوياته المعرفية والمنهجية ، فهو يعاني من عدة تحديات منها :

- ❖ أنه خطاب يقف متأزماً أمام الخطاب الغربي الذي يجد الدعم من طرف السياسيين .
- ❖ خطاب فقير من حيث التأسيس وعاجز من الانطلاق من فلسفة واقعية تعبر عن المجتمع .

¹ المرجع نفسه ، ص . ص ، 120 — 124 .

² حسن جميل طه ، الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية ، دار المسيرة ، الأردن ، 2007 ، ص ، ص ، 23 ، 25 .

❖ خطاب مؤدلج بإيديولوجية السلطة الحاكمة ، ولا يبحث عن المصلحة العامة للمجتمع¹.

❖ من التحديات التي تواجه المنظومة التربوية التيارات التربوية التغريبية التي تتوسع في المجتمع².

❖ من أخطر التحديات المتفق عليها على مختلف الأصعدة والمجالات العولمة حيث تقف عائقاً أمام المجتمعات وتعد بمثابة الوساطة على كل الأنظمة وتعمل على تخريب القيم الثقافية والاجتماعية ، هذا على الرغم من الدور الايجابي الذي تقوم به والمتمثل في إدخال تقنيات حديثة وثورة المعلومات والاتصالات في الناحية الايجابية³.

تعتبر العولمة في مجال التربية بأنها تكريس بنوع آخر لسياسة الخضوع والهيمنة ، حيث تعود خطورة المنحنى التربوي للعولمة إلى أسباب تتعلق بمكانة المنظومة التربوية داخل بنية النظام الاجتماعي بالمقام الأول ، أما السبب الثاني فيتعلق بمضامين التربية المعولمة في حد ذاتها . فالمنظومة التربوية تؤدي دوراً بارزاً في بناء المجتمع وتشكيل مكوناته ، فهي ترتبط بشكل معقد بكافة النواحي السياسية للدولة ، وتتفاعل بكل قوة مع بقية النظم الأخرى ، وتأثيرها يتجاوز الفرد ليمتد إلى المجتمع⁴.

فالخطاب التربوي اليوم معلوم ذا طابع تغريبي تغلب عليه النزعة الغربية ، أين تسعى الثقافة الغربية في الوقت الراهن لعولمة كل المجالات ، واعطائها سمة العالمية ، فالنخب الحاكمة وصانعة القرار في الولايات المتحدة لأمريكا ، تقوم بدور المروج الرئيسي لهذا التوجه المعبأ بالرؤية الأمريكية للحياة والثقافة ، فهي تسعى لبسط نفوذها والاستحواذ على مختلف المؤسسات التربوية ، والحصول على الكلمة العليا على كل المنظمات المهتمة بالتربية والعلوم والثقافة في العالم بوجه العولمة ، بالعولمة تسعى لتوحيد العالم في منظومة ثقافية واحدة تتجاوز فيها الروابط الأصولية و الدينية والعقائدية في المجتمع⁵ . وبهذا الوضع تدوب هوية وقيم المجتمعات في هوية الآخر وتصبح مثلما قال :ابن خلدون تقليد المغلوب بالغالب ، طواعية أو إكراه في قانون الديمقراطية والتسامح .

تعدّ العلاقة بين العولمة والمنظومة التربوية مشكلة تحتاج للدراسة من طرف الجميع ، ويجب على المجتمعات التكيف معها ، ومن الضروري النظر في هذا الواقع الذي أصّلته الظروف الخارجية من طرف أصحاب القرار السياسيين باتخاذ القرارات المناسبة ويتطلب الوضع وجود قاعدة اجتماعية ووعي اجتماعي وتفكير عميق والوقوف على رؤية مستقبلية بعيدة التخمين ومؤسسة على ضوابط مؤكّدة ، والانطلاق من الواقع ووضع سياسة تربوية قادرة على إخراج المنظومة التربوية من العوائق التي تعاني منها وتواكب

¹ عبد الله المطيري، خطاب النهايات <<نهاية التربية>> على غرار <<نهاية التاريخ>> نقلاً عن : <http://www.alriyadh.com/2006/07/20/articale.172783/html>.

² عادل بو العز، تخطيط المناهج وتنظيمها ، دار دبيونو للنشر ، الأردن ، 2006 ، ص ، 27.

³ مفيد الزبيدي ، قضايا العولمة والمعلوماتية ، دار أسامة للنشر ، الأردن ، 2003 ، ص ، 105، 106.

⁴ زمام نور الدين ، الخطاب التربوي وتحديات العولمة ، دفاتر المخبر ، النظام التربوي في الجزائر وباقي الدول العربية، العدد الأول ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، الجزائر ، 2005، ص، 89.

⁵ المرجع نفسه ، ص ، 91.

المستجدات في إطار حفظ الهوية ، وأن يعي أصحاب النظام السياسي ، وأصحاب القرار ، بخطورة الوضع الذي تعاني منه المنظومة التربوية في ظل التحديات الراهنة ، وأن تعمل على تخطي الصعاب الإيديولوجية وإيجاد أرضية تكون قاعدة تنطلق منها المنظومة التربوية ، وتتوحد فيها المواقف لأن بالتربية تنهض المجتمعات¹ .

خلاصة :

كلما كان الخطاب التربوي صادر من جهة مسئول أو صانع للقرار كلما كان له تأثير كبير في المجتمع ، وكذا نوع الخطاب المستعمل ، و مدى الأهمية التي تعطى للخطاب التربوي ومن بين الجهات التي تعطي أهمية للخطاب التربوي الأحزاب السياسية و مختلف مؤسسات المجتمع المدني ، التي تؤدي دورا تربويا مهما إذا خصت جانب من اهتماماتها للمجال التربوي ، و كل ما يواجه المنظومة التربوية من انشغالات .

¹ إبراهيمي الطاهر ، جابر نصر الدين ، النظام التعليمي في الجزائر في ظل متغيرات الشأن الداخلي و تحديات العولمة ، دفاتر المخبر ، النظام التربوي في الجزائر و باقي الدول العربية، العدد الأول ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، الجزائر ، 2005، ص ،ص، 132، 138.